African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 3, Issue 3, July - September 2024, Page No: 93-100
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2023: 1.25 SJIFactor 2023: 5.58 ISI 2022-2023: 0.510

الجودة مقياساً في ديوان الأصمعيات
دراسة موضوعاتية

شذى بنت سالم بن عواد العنزي [1*]، د. عبد العزيز بن عبد الله بن صالح أبا الخيل [2]
[1،2] قسم اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، جامعة القصيم، القصيم، المملكة العربية السعودية

Quality as a measure in the Diwan of Asma'iyat
A thematic study

Shatha Salem Awad Al-Enezi [1*], Dr. Abdulaziz Abdullah Saleh Aba Al-Khail [2]
[1,2] Department of Arabic Language and Social Studies, Qassim University, Qassim, Saudi Arabia

[*]Corresponding author shatha1949@outlook.com [*]المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2024-06-19 **تاريخ القبول:** 2024-08-15 **تاريخ النشر:** 2024-08-24

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أثر مقياس الجودة في ديوان الأصمعيات، وذلك نظراً لعدم وضع الأصمعي مقدمة يوضح فيها أسس الاختيار أو المقاييس التي اعتمدها في اختياراته، وتشتمل الدراسة على ثلاثة مباحث، المبحث الأول: الجودة لغة واصطلاحاً، والمبحث الثاني: مقياس الجودة عند الأصمعي، والمبحث الثالث: ارتباط الجودة بالذوق عند الأصمعي. وكشفت الدراسة أن الجودة عند الأصمعي تعد الأساس في ديوان الأصمعيات وكان يعتمد عليها في وصف الفحولة، وارتبطت بالكم والكثرة، وتمثلت بالفصاحة والبلاغة، والاقتداء بالنسج على طريقة الجاهليين. كما أن الأصمعي اعتبر الذوق أحد الجوانب المهمة في تقييمه لجودة الشعر والنصوص الأدبية، والجودة ارتبطت بذوقه الخاص، ولكن كان يستند إلى منهج علمي يتطلب معرفة ودربة وثقافة.

الكلمات المفتاحية: الجودة، الأصمعيات، الذوق.

Abstract

This study aims to demonstrate the impact of the quality scale in the Diwan of Al-Asma'iyyat, due to Al-Asma'i not providing an introduction in which he explains the foundations of selection or the standards he relied on in his choices. The study includes three sections: The first section: Quality in language and terminology, the second section: The quality scale according to Al-Asma'i, and the third section: The relationship between quality and taste according to Al-Asma'i. The study revealed that quality according to Al-Asma'i is the basis of the Diwan of Al-Asma'iyyat and he relied on it in describing virility, and it was linked to quantity and abundance, and was represented by eloquence and rhetoric, and imitating the weaving in the manner of the pre-Islamic era. Al-Asma'i also considered taste to be one of the important aspects in his evaluation of the quality of poetry and literary texts, and quality was linked to his taste, but he relied on a scientific approach that requires knowledge, training and culture.

Keywords: Quality, Al-Asma'iyyat, taste.

المقدمة

لقد أدرك النقاد القدماء وعلى رأسهم الأصمعي [1] أنه لا بد من وجود مقاييس فنية تمكنهم من نقد الشعر، والحكم بجودة الشعر أو رداءته، وتصنيف الشعراء، وكان للشعر سوق للقراءة والتقييم، وهذه الأحكام مبنية على ذوق الناقد، إذ يحدد كل ناقد معايير الاختيار الخاصة به.

وفي اختيارات الأصمعي التي سُمّيت بالأصمعيات والتي تتكون من مجموعة القصائد التي اختارها الأصمعي على نسق اختيار المفضل الضبي، وسميت بالأصمعيات لشهرته بلقبه دون اسمه، فلم تُعرف قديمًا بهذا الاسم، وإنما كانوا ينعتونها باسم (اختيارات الأصمعيّ)، ونجد أنه اختار الأشعار دون أن يحدد المنهج الذي اتبعه فيها، وقد ذكر الأخفش في مقدمة كتاب (الاختيارين) أنه صُنِّف الكتاب على غير نسق واضح[2].

أسئلة البحث

انطلاقاً من عدم وجود منهج واضح اتبعه الأصمعي في الأصمعيات، وجدت الباحثة أنه اختار أصمعياته لشعراء جاهليين وإسلاميين ومخضرمين، واختار مقطوعات شعرية متفاوتة الطول مِن حيث عدد الأبيات، لكن يظهر حرصه على تضمين اختياراته بأجود القصائد، من هنا ارتأت الباحثة دراسة ديوان الأصمعيات وبيان أثر مقياس الجودة فيه. وأجابت الدراسة عن الأسئلة:

- ما تعريف الجودة لغة واصطلاحاً؟
- هل اعتمد الأصمعي الجودة مقياسًا في ديوان الأصمعيات؟
- هل ارتبط مقياس الجودة عند الأصمعي بذوقه الفني؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان أثر مقياس الجودة في اختيارات الأصمعي المسماة بالأصمعيات، والكشف عن ارتباط الجودة لديه بالذوق الفني، ودور جاهلية الشاعر بنظرته الى أشعاره من ناحية الجودة، لأن الأصمعي عالم لغة فاختياراته لم تأتِ من مجرد نقد انطباعي، بل جاءت عن ناقد متمرس وله دربة في الأدب.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من الحرص على بيان المنهج الذي اتبعه الأصمعي في ديوانه، وذلك نظراً لأهمية ديوان الأصمعيّات، ولما له من قيمة أدبية كبيرة بين كتب الاختيارات، وهو ما قد يفتح المجال أمام الباحثين للبحث عن مقاييس أخرى اتبعها الأصمعي في الأصمعيات.

منهج البحث

بعد قراءة ديوان الأصمعيات للأصمعي وجدت الباحثة ضرورة اتباع المنهج الاستقرائي والتحليلي للنّظر في طريقة اختيارات الأصمعي، لايجاد أثر مقياس الجودة في هذه الاختيارات، إذ يُعد الأنسب لطبيعة البحث.

في ديوان الأصمعيات لم يضع الأصمعي مقدمة يوضح فيها أسس الاختيار أو المقاييس التي اعتمدها في اختياراته، وكانت طبيعة النقد في عصره تعتمد على ذوق الناقد، ويقيم الشعراء من خلال الموازنات التي

---

[1]. هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، ولد سنة (122ه) في البصرة، وسمي بالأصمعي نسبة الى جده أصمع، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، تدلُّ مؤلَّفاته وكتبه الّتي خلّفها وراءه على أنه تبوَّأ مكانة عالية، فهو عالم وناقد ولغويّ وراوية، وكان يتميز بغزارة علمه، وتنوُّع ثقافته. توفي الأصمعي في البصرة سنة 223هـ. الزركلي، 2000م، 162/4. والقفطي، 1952م، 2/ 199.

[2]. الأخفش، 1998م، ص3-6.

كانت تخضع للمزاج والذوق والانطباعات، ومن هنا اشتملت كتب المختارات عموماً بأفضل الأشعار التي قالها العرب، وبرز اختلاف أصحاب الاختيارات في اختياراتهم ومذاهبهم، واختلافهم في ترتيب المختارات.

المبحث الأول: تعريف الجودة لغةً واصطلاحاً

عرف ابن منظور في لسان العرب كلمة الجودة بأن أصلها جود، "والجيد نقيض الرديء، وجاد الشيء جُودة، وجَوْدة أي صار جيداً، وأجاد أي أتى بالجيد من القول والفعل، ويقال: هذا شيء جيد بين الجودة والجودة. وقد جاد جودة وأجاد: أتى بالجيد من القول أو الفعل. ويقال: أجاد فلان في عمله وأجود وجاد عمله يجود جودة، وجدت له بالمال جودا. ورجل مجواد مجيد وشاعر مجواد أي مجيد يجيد كثيرا"[3].

أما الفيروزبادي فأورد في القاموس المحيط أن "الجيّد ضد الرديء، وجاد يجود وجودة: صار جيّداً، وأجاده وأجوده وجاد وأجاد: أتي بالجيد فهو مجواد، والجواد: السخي والسخية، واستجاده: طلب جوده فأجاده درهماً: أعطاه إياه، وفرس جواد: بيّن الجودة"[4].

فالمعنى اللغوي للجودة يدور حول الجيد نقيض الرديء والسخاء والعطاء، وما يهمنا هو الجيد ضد الرديء الذي اتخذه النقاد مقياساً لتمييز الشعر الجيد من رديئه.

أما اصطلاحاً فقد جاء معنى الجودة من المعنى اللغوي إذ تعد بأنها صفة لتمييز الشعر الجيد من الرديء وهي الأساس التي بها يتم النقد. وقد وردت لفظة الجودة عند عدد من النقاد للتعبير عن الشعر الجيد مثلا الجاحظ قال " ... موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه، وحظ جودة القافية وإن كانت كلمة واحدة، أرفع من حظ سائر البيت "[5]، وكذلك عند ابن سلام الجمحي بقول "كان فيه مع جودة شعره خطل وعجب"[6].

وفي كتاب الشعر والشعراء ربط ابن قتيبة الجودة باللفظ والمعنى، " وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى، ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها الاصابة في التشبيه..."[7].

فالجودة هي أدوات النقاد في بيان جمال العمل الأدبي، وتعدّ وسيلة لتصور تجربة النقاد وإيصالها إلى المتلقي التي تصورها الألفاظ في وأدق تصوير[8]. ولم تجد الباحثة تعريفاً محدداً للجودة عند النقاد بل جاءت تعبيراً عن أراءهم وتوجهاتهم في نقد الشعر.

المبحث الثاني: مقياس الجودة عند الأصمعي

إن كتب المختارات الشعريّة برزت فيها فكرة تنطلق من مبدأ تلقّي النص الشعري وفق ضمان جودة النص التي توقع وفق أمزجة الأفراد، ويشكّل معيار الجودة جزءاً مهماً من التراث الأدبي العربي، إذ يعد أساساً متيناً للفصاحة والفصاحة والشعر، لأنه ساعد على تطوير الأدب العربي والحفاظ على جودته جيلاً بعد جيل، وأصبح مصدر إلهام لكثير من الكتاب والباحثين في مجال اللغة العربية.

ووجدت الباحثة من خلا ل استقرائها لديوان الأصمعيات أن الجودة لم تأتِ منفردة، بل ارتبطت ارتباطاً وثيقا بعدة معايير، فالأصمعي يعد من أبرز النقاد وكان يرى أن الجودة صفة مهمة لوصف

---

[3]. ابن منظور، لسان العرب، 135/3.
[4]. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص308.
[5]. الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 111.
[6]. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 2/ 541.
[7]. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 1/ 85.
[8]. رانيا حلاسة، الجودة في النقد الأدبي القديم، ص11.

الفحولة لديه، إذ تتمثل في الابتعاد عن الغريب الوحشي من الكلام[9]، لذلك كان يرى أن امرأ القيس الأول في الجودة وله قسب السبق، والبقية أخذوا عنه[10].

فالجودة كانت أساساً لوصف الفحولة عند الأصمعي، إذ يقول الأصمعي في كتاب الفحولة عندما سأله أبو حاتم السجستاني عن الحويدرة، فقال: " لو قال مثل قصيدته خمس قصائد لكان فحلا، وكذلك عن ثعلبة بن صعير المازني لو قال مثل قصيدته خمسا كان فحلا" [11]، فهما في نظر الأصمعي شاعران لكنهم مقلان، بدليل إعجابه بقصيدتيهما التي علّق عليها بأنهما لو نسجا على منوالها خمساً لعدّهما من الفحول، من هنا نجد أن شعرهما جيد ونال إعجابه ولو أن لديهما خمسة قصائد لأصبحا من الفحول، فتحققت الجودة في الشعر لديهما لكن قلة النظم حالت دون عدّهما من الفحول.

ولكن لا يُفهم أن الأصمعي يقصد الكثرة بصورتها المطلقة، بل قصد الكثرة المرتبطة بالجودة، بدليل أنه أورد في الأصمعيات اعتد بفحولة القصيدة الواحدة، وذلك نظراً لجودتها بصفة أساسية. فهو يرى أن مكانة الشاعر تمنح الشعر قيمة مهما تكن قيمة الشعر نفسه، وهو ما يدعى بالعلاقة بين شهرة الشاعر وانتشار قصيدته، فقد يقول شاعر قصيدة جيدة ولكنها لا تحقق نصيبها من الشهرة لأن صاحبها غير مشهور بينما إذا قالها شاعر مشهور آخر استوفت حقها من الانتشاء.، ومثال ذلك قول دوسر بن ذُهَيْل القُرَيْعيّ [من الطويل]:

وقائلةٍ مَا بالُ دوسر بَعدنَا	**صَحا قلبه عَن آل ليلى وَعَن هِنْدِ**
فإنْ تكُ أثوابي تمزَّقنَ لِلبِلى	**فإنّي كَنصلِ السيفِ فِي خَلَق الغِمدِ[12]**

وما يؤكد أن الأصمعي وجد بهذه القصيدة الجودة التي تتلاءم مع ذوقه، قوله عن قصيدة للبيد: "لو كانت هذه القصيدة للنابغة الأكبر بلغت كل مبلغ "[13]، لأن النابغة من الشعراء الفحول الكبار ولشعره مكانة كبيرة، وقصيدة لبيد اقتربت من جمالية شعر النابغة، لكنها لم تحظ بالشهرة التي تستحقها رغم جودتها.

فالجودة مقياس أساسي في نظرته إلى الشعر، لكن الجودة وحدها لا تكفي بل تحتاج إلى الكم والكثرة وشهرة صاحبها وفحولته، لأن الجودة لا يتم النظر إليها بمعزل عن المميزات الأخرى، حتى وإن كانت أساساً في النقد.

ولعل رأيه في امرئ القيس بأنه لم يرَ مثله في الدنيا خير دليل على أهمية مقياس الجودة ليس في تذوقه للشعر فحسب، وإنما في وصف الشاعر بالفحولة، فعندما سئُل عن أول الفحول، رد بأنه النابغة الذبياني، ثم قال: " ما أرى في الدنيا أحد مثل قول امرئ القيس [من الوافر]:

وقَاهُم جَدّهُمْ ببَنِي أبِيهِم	**بالأشْقَيْنِ ما كان العِقَابُ**

---

[9]. وفاء محمد، معايير الحكم على الشعر عند الأصمعي، ص73.
[10]. الأصمعي، فحولة الشعراء، ص19-20.
[11]. المصدر نفسه، ص12.
[12]. الأصمعي، الأصمعيات، ص150.
[13] المصدر نفسه، ص11.

وقال أبو حاتم فلما رآني اكتب كلامه فكر ثم قال: بل أولهم في الجودة امرؤ القيس، له الحظوة والسبق وكلهم أخذوا من قوله واتبعوا مذهبه "[14]. فهذا الكلام الذي أورده السجستاني في كتاب فحولة الشعراء للأصمعي يثبت أن مقياس الجودة يعد الأساس عند الأصمعي ومنه يصف بالفحولة والفصاحة والإبداع.

ولكنه كان يصف قصيدة بالجودة حتى وإلا يعد صاحبها من الفحول، كالشاعر كعب الغنوي، الذي لم يعده فحلاً، لكنه أُعجب بمرثيته نظراً لجودتها، وأنه ليس في الدنيا مثلها، فكانت هذه القصيدة سبباً لجعله فحلا [من الطويل]:

أخي مَا أخي لَا فاحِشٌ عندَ بيتِهِ	**وَلَا وَرَعٌ عندَ اللقاءِ هَيُوبُ**
هُوَ العسلُ الماذيُّ حِلْماً ونائلاً	**وليثٌ إذا يَلقَي العدوَّ غَضُوبُ[15]**

وتمثلت الجودة عند الأصمعي بالفصاحة والبلاغة، لأن جودة النص تنعكس في إمكانية التعبير عنه بوضوح ودقة، ويجب أن تكون الكلمات مناسبة للمعنى المراد التعبير عنه، فقد كان معجبًا باللغة البدوية ويعدها مصدر الفصاحة والبلاغة في الشعر العربي، وموقفه هذا يعبّر عن تقديره للفصاحة، كما أن استخدام الشاعر الصور البلاغية والأساليب التصويرية لتعزيز تأثير النص على المتلقي، وهو ما يعتبره الأصمعي علامة على جودة النص الشعري.

وكان يرى أن الشعر الجاهلي هو الأنموذج والقدوة التي يجب أن تحتذى؛ لأن الاصمعي كان عالم لغة فكان من مقاييسه سلامة اللغة للحفاظ على اللغة العربية من اللحن والضياع، فالشاعر الجاهلي من وجهة نظره شاعر لا يفوقه أي شاعر آخر، وأنه أهل للاحتجاج باللغة، لأن لسانه لم يفسده اللحن، لذلك فإن أي شاعر أياً كانت مرتبته، ومهما بلغ الشاعر في مكانته وجودة شعره، إذا خرج عن الجاهلية، فلا حجة له، ولا يتم تفضيله[16].

ومن وجهة نظر الأصمعي تمثل النصوص الجاهلية حقبة من النقاء والكمال والنضج الفني، مما يمنحها القدرة على الإبداع الذي لم يكن مقدرا للشعراء اللاحقين التعبير عنه، ويعترف بأهمية الشعر الجاهلي من حيث تميزه بالقوة والجزالة.

كما أن الأصمعي يلتزم التزاماً تامًّا بالقواعد والأسس التقليدية للشعر العربي، من خلال اعتماده لعمود الشعر عبر اختياره لقصائد تتماشى معه، وكان يعتقد أن الشعر الجيد هو الذي يتقيّد بالمفهوم النقدي للإبداع بالنسج على طريقة الجاهليين، أي النّسج على طريقة العرب أو عمود الشعر، لذلك فإن عمود الشعر الذي اتبعه الجاهليون يعد أساسًا لاعتماد الجودة عند الأصمعي. فالتزام القصائد بعمود الشعر يعني اتصافها بالوحدة الموضوعية، وهو ما يجعلها متماسكة، وهذا الالتزام يؤدي إلى الجزالة والفصاحة التي بدورها تحقق شرط الجودة في القصيدة.

المبحث الثالث: ارتباط الجودة بالذوق الفني عند الأصمعي

كانت الأحكام النقدية في الماضي تعتمد على انطباعات جزئية، حيث كانت تهتم بجودة الإنتاج الأدبي، وكان الذوق هو العنصر الأساسي في اختيار الشعر، لكنه لم يكن ساذجًا، بل كان يستند إلى أسس

---

[14]. الأصمعي، فحولة الشعراء، ص19-20.
[15]. الأصمعي، الأصمعيات، ص92.
[16]. جهاد المجالي، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص 120.

متعارف عليها بين النقاد القدماء، لم يكن هذا الذوق يعتمد على الرغبات أو المزاج الشخصي، بل كان يتطلب منهجًا علميًا يتطلب معرفة ودربة وثقافة رفيعة[17].

ويعتبر الأصمعي الذوق أحد الجوانب المهمة في تقييمه لجودة الشعر والنصوص الأدبية، إذ يشمل الذوق الأدبي القدرة على التمييز بين اللغة والجماليات الفنية في النص، وكذلك القدرة على تقدير الإبداع والتقنية الشعرية، فهو القوة أو الإستعداد الفطري المكتسب لتقدير تأثيرات الفن، والتي من خلالها نتمكن من تقدير الجمال والاستمتاع به، وتقليده بأكبر قدر ممكن في كلماتنا وأفعالنا[18].

وكان الأصمعي - مثل أي ناقد آخر- يعتمد على ذوقه الشخصي الذي صقله عبر سنوات من الخبرة والممارسة، إضافة إلى ثقافته وموهبته الفطرية، لأن إحدى الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر في الناقد هي الذوق والاستعداد الفطري، كما أن هناك تأثيراً واضحاً للتدريب والممارسة في العملية النقدية، حيث أن المعرفة بالشعر لا تغني عن الذوق الذي لا يمكن اكتسابه من خلال التعليم والتلقين، بل يتم اكتسابه من خلال الممارسة العملية التي يعتمد عليها الناقد المتمرس[19].

والأصمعي عندما يفاضل يعتمد كما يجب أن يكون على ذوقه الخاص وطبيعي أن لا يكون لهذه الاحكام تعليل لها[20]، فكان ينتقي لكل شاعر ما اتفق مع ذوقه الفني وثبتت جودته، ومثال ذلك قول سعدى بنت الشمردل وهي ترثي أخاها، [من الكامل]:

أمنَ الحوادِثِ والمَنونِ أروَّعُ	**وأبيتُ ليْلي كلّهُ لَا أهجع**
وأبيتُ مُخْلِيَة أبكّي أسعداً	**ولِمثْلِهِ تبْكي العيونُ وتهْمعُ**
أنَّ الحوادثَ والمَنونَ كليهما	**لَا يُعْتِبانِ ولوْ بَكى منْ يجزَعُ[21]**

تجلى ذوق الأصمعي باختيار لهذه القصيدة لسعدي بن الشمردل وهي المرأة الوحيدة التي أورد لها في الأصمعيات، وهذا يدل على أن مقياس الجودة لديه يرتبط بالذوق بصرف النظر عن صاحبه، فمشاعر الفراق والحزن عبرت بصدق عن ذوقه، واستخدام الشاعرة للصور الشعرية عكست ذوقه في تقدير الجمال الشعري، فالقصيدة تجلت فيها الفصاحة والبلاغة والإيقاع الموسيقي التي يرتكز عليها مقياس الجودة لديه، كما أنها تعبّر عن ذوقه.

وكذلك فقد يتم اختيار قصيدة واحدة لشاعر ولا يتم اختيار جميع قصائده، وذلك لأنها لم تصل إلى حد الجودة، لذلك فقد اعتمد في مقياسه على القصيدة وليس على شهرة الشاعر، فالأصمعيات اشتملت على مقطوعات شعريَّة تفاوتت فيما بينها مِنْ حيث عدد الأبيات، لأنه كان حريصًا على تضمين اختياراته أجود القصائد، الَّتي تُعدُّ مِنْ روائع الشِّعر وخالصه، وهذا ما يُفسّر اختياره أشعاراً لشعراء مقلين [22].

ومن الدلائل أيضًا على ارتباط مقياس الجودة بالذوق عند الأصمعي مسألة الزمن المتمثلة بالقديم والجديد، فقد كان يُعلي كل ما هو قديم ويرفض كل ما هو جديد، بل وعدّه غارقاً بالصنعة والتكلف التي

([17]) منذر كفافي، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية، ص7.
([18]) خالد الجبر، الذوق الفني في مدونة النقد العربي القديم أثره ومنزلته وتحولاته، ص174.
([19]). بشارة الزين، معيار الجودة في طبقات فحول الشعراء، ص50 – 51.
([20]) خالد الجبر، الذوق الفني في مدونة النقد العربي القديم أثره ومنزلته وتحولاته، ص176.
([21]). الأصمعي، الأصمعيات، ص101 – 103.
([22]). حيدر القاضي، الظواهر التركيبية البارزة في ديوان الأصمعيات، ص32.

تفسد الشعر، وكان يعد الشعر الجاهلي الأعلى جودة، وكان يتبين رفعة ومكانة الشاعر الجاهلي عنده بإدراكه العصر الجاهلي.

والأصمعي كان يروي عن شيخه عمرو بن العلاء ويستشهد به، فقال: " جلست إلى عمرو بن العلاء ثماني حجج، فما سمعته يحتج ببيت إسلامي، وسئل عن المولدين فقال: ما كان من حُسنٍ فقد سُبقوا إليه، وما كان من قبيح فهو من عندهم، ليس النمط واحدًا؛ ترى قطعة ديباج، وقطعة مسيح، وقطعة نِطع"[23]. فمن وجهة نظره أن المولدين يعجزون عن التجديد ولا يُحكمون صناعة الشعر، وبالتالي فلا يمكن اعتماد جودة شعرهم.

يعتبر الأصمعي أن الشاعر الجاهلي يحتل مكانة رفيعة، حيث لا يوجد شاعر آخر يمكنه التفوق عليه، ويستحق هذا الشاعر الاحتجاج بلغة العرب، لأن لغته لم تتأثر باللحن، لذلك فإن شعره جيداً ويوافق ذوقه الأدبي.

ولم يكن الأصمعي وحده مَن يتوافق ذوقه مع الشعر الجاهلي نظراً لجودته بل غيره من أصحاب المختارات، يقول الرافعي "... وأوَّل اختيار مدوَّن عند العرب القصائد المعروفة بالمعلَّقات اختارها حمَّاد الرَّاوية، ثمَّ جمهرة أشعار العرب للقرشيّ، ثُمَّ المفضليَّات للمفضَّل الضَّبِّيّ وهي مشهورة، ثمَّ اختار الأصمعيُّ القصائد المعروفة بالأصمعيَّات، وكلُّ هؤلاء لم يختاروا في كتبهم شيئًا للمولَّدين"[24].

ومن أسس اختيار الاصمعي ذوقه الخاص والذي لا يكون اعتباطًا بلا هو حصيلة دربته وممارسته وخبرته التي أثرت ذوقه الخاص وجعلت من حكمه مقبولاً بلا تعليل، لذلك برز ميله الكبير للقصائد التي تسير على نهج القصيدة الجاهلية لأنه عندما قام بالاختيار فهو عالم اللغة.

يتجلى ذوق الأصمعي في قدرته على تمييز النصوص الجيدة التي تتميز بالفصاحة والبلاغة، بالإضافة إلى الصور البلاغية الرائعة والإيقاع الموسيقي، حيث جمع الأصمعي قصائد تعكس ذوقه الرفيع وتقديره للجماليات الشعرية.

الخاتمة

في ديوان الأصمعيات محور الدراسة لم يضع الأصمعي مقدمة يوضح فيها أسس الاختيار أو المقاييس التي اعتمدها في اختياراته، لأن النقد قديماً كان يعتمد على ذوق الناقد الذي يقوم على تمييز الشعر الجيد من رديئه، وهو المعنى اللغوي للجودة.

ووجدت الباحثة أن الجودة عند الأصمعي ارتبطت في قواعد أخرى في نظرته للشعر والشعراء وهي:

أولاً: كانت أساسًا في وصف الفحولة للشاعر، فجودة أشعاره مقياس يصف به الأصمعي الشاعر بالفحولة والفصاحة والإبداع، ولكنه كان يصف قصيدة بالجودة حتى وإلا يعد صاحبها من الفحول.

ثانياً: ارتبطت بالكم والكثرة، وليست الكثرة بصورتها المطلقة، بل الكثرة المرتبطة بالجودة، ودليل ذلك اعتداده بفحولة القصيدة الواحدة، وقد يتم اختيار قصيدة واحدة لشاعر ولا يتم اختيار جميع قصائده.

ثالثاً: تتمثل الجودة بالفصاحة والبلاغة، لأن جودة النص تنعكس في إمكانية التعبير عنه بوضوح ودقة.

---

[23]. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر ونقده، 1/90-91.
[24]. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، 3/228.

رابعاً: الاقتداء بالشعر الجاهلي: لأنه يرى أن الشعر الجاهلي هو الانموذج والقدوة التي يجب ان تحتذى؛ والشاعر الجاهلي من وجهة نظره شاعر لا يفوقه أي شاعر آخر، لأن لغته لم تتأثر باللحن، وأن الشعر الجيد هو الذي يتقيّد بالنسج على طريقة الجاهليين.

وكان الأصمعي يعد الذوق أحد الجوانب المهمة في تقييمه لجودة الشعر والنصوص الأدبية، وبذلك ارتبطت الجودة بذوقه الخاص، ولكن هذا الذوق كان يستند إلى منهج علمي يتطلب معرفة ودربة وثقافة، ومتعارف عليه عند النقاد.

وبناء على نتائج الدراسة توصي الباحثة بضرورة استقراء ديوان الأصمعيات وفق مقاييس نقدية أخرى، للوصول إلى المنهج المتبع في اختيارات الأصمعي.

المصادر والمراجع:

1. الأخفش الصغير، أبو المحاسن علي بن سليمان، كتاب الاختيارين اختيار المفضل الضبي والأصمعي، تحقيق فخر الدين قباوة، (بيروت :دار الكتب العلمية، 1998م)، ط1.
2. ابن منظور، أبو الفضل، لسان العرب، (بيروت: دار صادر، 2003م)، ط5.
3. الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي، الأصمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، (القاهرة: دار المعارف المصرية، 1993م).
4. الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي، فحولة الشعراء تحقيق أحمد الشال، (بيروت: دار الكتاب الجديد، بيروت، 1980م)، ط2.
5. الزين، بشارة، معيار الجودة في طبقات فحول الشعراء، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، السودان، 2016م.
6. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1988)، ط7.
7. المجالي، جهاد، طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب حتى نهاية القرن الثالث الهجري، بيروت: دار الجيل، 1992 م)، ط4.
8. القاضي، حيدر، الظواهر التركيبية البارزة في ديوان الأصمعيات، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية، غزة، 2012م.
9. الجبر، خالد، الذوق الفني في مدونة النقد العربي القديم أثره ومنزلته وتحولاته، مجلة جامعة القدس المفتوحة، القدس، ع33، 2014م.
10. حلاسة، رانية، الجودة في النقد الأدبي القديم، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2014م.
11. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق محمد محيي الدين، (بيروت: دار الجيل، 1981م)، ط3.
12. ابن سلام الجمحي، أبو عبد الله محمد بن عبيد الله الجمحي (ت 232هـ)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، (جدة: دار المدني، 1998م).
13. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق حمد نعيم العرقسُوسي، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م).
14. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، الشعر والشعراء، (القاهرة: دار الحديث، 1423هـ).
15. الرَّافعيّ، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، (المنصورة: مكتبة الإيمان، 1911م).
16. كفافي، منذر، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة اليرموك، اربد، 2002م.
17. محمد، وفاء، معايير الحكم على الشعر عند الأصمعي، مجلة كلية الآداب، جامعة أسوان، مج8، ع1، 2020م.